سينما

خارج الكادر داخل السينما

في رحيل أحبّةٍ بعيداً عن النقد

في يومين اثنين، يرحل 3 عاملين في السينما، تاركين تأثيراتٍ في وعي ومعرفة وبحثٍ في أسئلة وتفاصيل وعلاقات وحكاياتٍ

نديم جرجوره

فجأة، يُصبح ناقدُ سينمائيّ أشبه بحفّار قبور. يرحل الواحد تلو الآخر من معارفه. اختلافاتهم شاسعة، لكنّ الرابط أقوى من التفريق بينهم. السينما جامعةٌ، وإنْ يستعن بها أحدهم لإكمال مشروع، يتكامل مع الصورة الوثائقية في تأريخ لحظةٍ، وحفظ ذاكرةٍ من الاندثار. للتمثيل منابع وأدوات وحِرفيّة، لن تكون موحّدة، فبتنوّعها تتغذّى السينما، وتنفتح أكثر فأكثر على معالم بيئات وثقافات وتأثّرات، وتمنح للعامل فيها فرصاً عدّة لبلورة مسار، ولقول تفكير وتأمّل، ولحِرفية مهنةٍ يُخرجها المُحترف من جفافيتها العلمية إلى مسام روحٍ ونبرةٍ وحضور. فجأة، يغيب الواحد تلو الآخر، اغتيالاً أو موتاً عادياً. الشيخوخة غير رحيمة. كأنّها، مع مزيدٍ من الأعوام الجديدة للمرء، تُصبح أشبه باغتيالٍ بطيء لنبض، وإنْ يتمكّن المرء، في تلك الفترة، من مقارعتها، بعملٍ وحيوية ومُشاركة، أو بعزلة ذاتية خاصّة، لتنقيةٍ واستعادةٍ وتطهّر، أو لإكمال المسار إلى النهاية.

فجأة، يجد الناقد نفسه ملزماً بكتابةٍ، يجب أنْ تتنوّع بتنوّع مسالك الراحلين، وأنماط أعمالهم ومساراتهم ولحظاتهم التاريخية، وإنْ يحصل الرحيل في يوم أو يومين أو ثلاثة. فجأة، يتّخذ الناقد لنفسه بُعداً قليلاً، لشعورٍ بعجزٍ في الكتابة، قبل الشروع بها، فلكلّ راحلٍ بصمةً في سيرته وذاته ووعيه، ولبعض أعمال كلّ راحل تأثيرٌ يبلغ، أحياناً، حدّ الانقلاب في وعي وخطواتٍ إلى أمام.

في 4 و5 فبراير/ شباط 2021، يُعلَن نبأ اغتيال اللبناني لقمان سليم (17 يوليو/ تموز 1962)، ورحيل الممثلين المصري عزت العلايلي (15 سبتمبر/ أيلول 1934) والكندي كريستوفر بلامر (13 ديسمبر/ كانون الأول 1929). للاغتيال وقعٌ أقسى من رحيلٍ متأتٍ من شيخوخة أو مرضٍ. القتل إقصاء وتغييب، يُراد به إسكاتٌ بالقوّة، وترهيبٌ ببطش جسدي. للشيخوخة حزنها، رغم أنّ العمرَ طويلٌ، فالموت حتميّ. الاغتيال يُترجم بعض خراب عميق في بنية بلد وروحه، وفي بناء اجتماع وفضاءاته. الاغتيال تحطيمٌ وكسرٌ، رغم كلام يُقال عن إكمال مسيرة، وانتصار منتَظَر على تنانين الإجرام (والإجرام متنوّع، نهباً وفساداً وتزويراً وتخويناً وقتلاً)، وشعلةٍ لن تنطفئ. آمالٌ يتمسّك بها قاطنون في جوار من اغتيل ومعه، رغم إدراك واعٍ بأنّ الوحش، المتفلّت في بلادٍ تتّسع لدم وغبار وخيبات وجراح وكوابيس، أقوى من أملٍ متواضع بخروج آمن إلى ملاذٍ، يقي المرءَ موتاً مؤجّلاً، في حَيْز أهدأ، ولو قليلاً. الموت في شيخوخة العمر مؤثّرٌ، فللراحل، وإنْ يبلغ مئة عامٍ أو أقلّ أو أكثر، حضورٌ يصعب تجنّب مفرداته في عيش وثقافة ونظرة، خصوصاً إنْ يكن له تأثيرٌ في وجدان ووعي. مهنة الراحل تحرّض على معاينة وبحثٍ، وإنْ تحتوي على شيءٍ من رفاهية عملٍ أو حاجة إليه. لكلّ راحل، اغتيالاً أو موتاً بسبب شيخوخة، تأثيرٌ، عبر فيلمٍ أو أكثر، وبفضل لقاء أو أكثر.

> إلزامية كتابة يجب أنْ تتنوّع بتنوّع مسالك الراحلين

مع لقمان سليم، اختبار مواجهة يومية لثقافة النسيان والمنع والطرد من الذاكرة إلى راهنٍ موبوء بأفعال وحشية، تُغيِّب وتقتل وتهجِّر وترفض استفادة من ماضٍ أليم ووقائع يُراد لها نسيان تام، وسليمٌ يُناقض هذا، فيكافحه علماً ومعرفةً وتوثيقاً وسجالاً هادئاً، ونقاشاً يولّد معرفة ووعياً. مع عزت العلايلي، يتساوى لقاء مهنيّ به (19 ديسمبر/ كانون الأول 1996) مع أدوارٍ، يحاول الناقد العثور على ملامحها في شخص الممثل الجالس أمامه، وفي كلام يقوله، ونبرةٍ تُخرج الكلام منه بأسلوبٍ صاحبه. مع كريستوفر بلامر، تُستعاد لحظة قديمة، تؤسِّس علاقة مديدة بالسينما، فالفيلم الأول للصبيّ الذي يُصبح ناقداً سيكون «صوت الموسيقى» (1965) لروبرت وايز (المُشاهدة لاحقة على تاريخ الإنتاج بأعوام)، قبل أنْ تتبلور العلاقة بالسينما أكثر، بفيلم ثانٍ، «عودة الابن الضال» (1976) ليوسف شاهين، الذي له حضورٌ في سيرة عزت العلايلي، والحضور مؤثّر في الناقد أيضاً، فبعض أفلامهما تسرد فصولاً من معنى الحياة والتحدّي، وطرح الأسئلة، والبحث الدائم عن إجابات.

ألن تكون هذه سمات لقمان سليم، ناشطاً ومُحلّلاً وباحثاً ومؤرشفاً ومُفكّراً، ومُشاركاً فعلياً في تحقيق 3 أفلام وثائقية («مَقاتِل» عام 2004 مع زوجته مونيكا بورغمان وهرمان تايسن، وSur Place عام 2009 مع مونيكا، التي يُنجز معها «ندمر» عام 2016)، وعاملاً ميدانياً على منع النسيان من استفحال ثقافته في بلدٍ يركن إلى النسيان، لسهولة الركون إليه في عيشٍ مضطرب، بدلاً من إعمال العقل والمعرفة لتحصين كلّ شيء من الاندثار.

هذا لن يُلغي ما يحدث بعد لقاءٍ أول، فالمعرفة الأعمق تحدث لاحقاً، وبعضها قبل اللقاء. منذ تأسيسه «دار الجديد»، ومكتبها قريبٌ من شارع الحمرا (بيروت)، تُصبح الزيارات القليلة للناقد متعة واطّلاعاً. عشية اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، يُشاهَد الناقد «صوت الموسيقى» و«عودة الابن الضال»، وبعد سنين عدّة، يكتشف الناقد مع أفلام للعلايلي وبلامر حكاياتٍ ومعانٍ. منتصف تسعينيات القرن الـ20، لحظة لقاء مع عملاقٍ، قامة وقيمة، في صلب سينما مصرية، بعضها الأهمّ والأجمل قليلٌ ومُفيد.

يخرج الناقد على أصول المهنة، مع رحيل عاملين في السينما، لغلبة الذاتيّ معهم في اختبار وعي ومعرفة وبحثٍ غير ناضب عن إجابات يصعب اكتمالها. يحصل هذا أحياناً، فللذاتيّ مساحةٌ في علاقة الناقد بكلّ شيء.

لقمان سليم: لا للنسيان نعم للحوار الهادئ (سام تارلينغ/ Getty)

أفلامٌ عربيّة قصيرة في القدس

سرديات بصرية بتكثيف جميل

يتمنّى مهتمّون بالسينما إنهاء حالة الحظر الجماعي، قريباً جداً، بعد فرضها في المرحلة الجديدة من تفشّي كورونا، لإطلاق الدورة الأولى لـ«مهرجان القدس للسينما العربية». موعدٌ أول يُحدَّد بين 20 و24 يناير/ كانون الثاني 2021. التأجيل حاصلٌ، والموعد الجديد المنتظر مُحدَّد بين 20 و24 فبراير/ شباط 2021. مهرجان يريد حضوراً إضافياً في فلسطين، فيتّخذ من القدس عنواناً ومكاناً وفضاءً، مع اتّساع لائحة الاختيارات أمام أفلام غير مرتبطة بفلسطين والقدس فقط.

مسابقةٌ للأفلام القصيرة تعرض 8 أفلام، مُنتجة عامي 2019 و2020، باستثناء فيلمٍ واحدٍ مُنتج عام 2018. التنويع غير معنيّ بجغرافيا الإنتاج، فالتفاصيل والمشاغل والأسئلة المطروحة بصرياً تُشكّل مداخل إلى ذاتٍ وحالةٍ وانفعال، وبعضها فاضحٌ خفايا، وبعضها الآخر يُزيل كلّ حدّ بين خيال وواقع، متمثّلين بسينما وحياة حميمة. «المختبر» (2019) للفلسطينية لاريسا منصور مختلفٌ تماماً. عالم تحت الأرض يروي اختباراً مُدمِّراً لعالمٍ وبلدان وأناس. تفرّده نابعٌ من اشتغالٍ يخرج إلى الغرائبيّ في بحثه في العاديّ والواقعيّ. هذا يتناقض كلّياً مع «سيلفي زين» (2018) لأميرة دياب: إنْ تكن لفلسطين ملامح تجريبية في «المختبر»، فلها مع زين (ماريا زريق) واقعية مُسرفة في غرائبيّة عيشٍ في بلدٍ يُمزّقه احتلال وجدران، وتتوزّع فيه أديانٌ وانتماءاتٌ وصدامات. وإذْ تتمنّع لاريسا منصور، المتعاونة مع الدنماركيّ سورن ليند في الإخراج (علماً أنّ الكتابة له)، بخيالٍ يجنح بها إلى تلك العوالم السفلية، كعادة أفلامٍ وروايات تجد في هذا الحيّز منبعاً لتفكيرٍ وسجال عن أحوالٍ وحكاياتٍ؛ فإنّ دياب تحافظ على تبسيطٍ عمليّ لسرد تفاصيل رحلة تقوم بها زين إلى القدس، فتلتقي خلالها يهوداً وفلسطينيين، وتزور أمكنة مقدّسة للأديان الـ3، قبل انتهائها (زين ورحلتها) في خليطٍ ملتبس بين حلم ورغباتٍ. لمصر 4 أفلام، أحدها فائزٌ بـ«السعفة الذهبية لأفضل فيلم قصير» في الدورة المُقتضبة (27 . 29 أكتوبر/ تشرين الأول 2020) لمهرجان «كانّ» السينمائي: «ستاشر» (16) لسامح علاء. فيلمٌ آخر يُعرض خارج المسابقة الرسمية: «حنة ورد» (2019). الفيلمان الآخران مُنتجان عام 2019 أيضاً: «أمان زيادة» لنوران شريف، و«لحدّ الساعة خمسة» لشريف البنداري. الاختلاف بينها داعمٌ لتنويع تلتقي نتائجه في صُور سينمائية، تُمثّل عملياً مفهوم الفيلم القصير وأهميته وقدراته الفنية والدرامية والجمالية على كلّ قول وتعبير واشتغال، وتؤكّد جمالية تمكّنه من إلمام بجوانب الحكاية وآليات سردها، وبتفاصيل الحالة وكيفية ترجمتها بصُور ومرويات بصرية. التكثيف مشتركٌ بينها. المحتوى الحكائيّ انعكاس لمسائل يومية، وطرحٌ لتساؤلات عن الذات والشعور والعيش والموت والفراق والخيبات. مع شريف، هناك جانبٌ بسيطٌ من كوميديا المواقف، من دون إسرافٍ في مفرداتها، بقدر ما يُتاح لها حضورٌ مكتفٍ بإثارة ضحكٍ مرير وساخر إزاء ثقافة بيئة، وركائز علاقة، ومناخ اجتماع. شابّة تشتري واقياً ذكرياً من صيدلية أسفل مبنى منزلها، وفتاة صغيرة تسأل أمّها عمّا تحمله الشابّة، فيبدأ سجالٌ يتحوّل إلى عراكٍ، ثم إلى كشفٍ وفضح، مع دخول الأم إلى الصيدلية للقاء ابنتها، ويتحوّل المسار إلى تعرية علاقة بين أم وابنتها، واجتماع محاصر بمنعٍ وتزمّت، وبعدم فهم الآخر والاستماع إليه. مع البنداري، اختبار تحقيق فيلم داخل فيلم يؤدّي إلى كسر حواجز في الذات والعقل والانفعال، ويسأل عن ذاك الحدّ القائم/ المنعدم بين واقع وحياة وحميمية وخيال، ويُعيد بحثاً مبسّطاً وهادئاً وجميلاً في التمازج بين السينما والحياة.

ناديم...

سامح علاء و«السعفة الذهبية» لـ«كانّ 2020»: جمالية وعمق سينمائيان (ستيفان كارديناليي/Getty)

> تفاصيل ومشاغل وأسئلة تُشكّل مداخل إلى ذات وحالة وانفعال

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

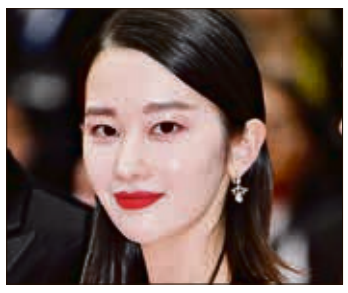

■ The Call للكوريّ الجنوبيّ لي تشونغ هيون، تمثيل جيونغ جونغ. سيو (الصورة) وبارك شين. هي: بعد غياب مديدٍ عن بلدتها، تعود سيو. يبونُ إلى منزلها وأهلها ومعارفها. ذات يوم، تعثر على هاتفٍ قديم، وعندما تُجرّب الاتصال به، يردّ عليها صوت امرأة لا تعرفها، كانت تسكن المنزل نفسه قبل عشرين عاماً. اتصال بين امرأتين تختلف إحداهما عن الأخرى، وتعيش كل واحدة منهما في زمنٍ بعيدٍ عن زمن الأخرى.

■ Ava للأميركي تايت تايلور، تمثيل جيسيكا تشاستن (الصورة) وكولن فاريل وجون مالكوفيتش: قاتلة محترفة تبرع في تنفيذ المهمات الموكلة إليها، لحساب شخص لا تعرفه، فهناك وسيطٌ بينهما، كان مدرّبها وحاميها سنين طويلة. لكن أمراً ما سيحصل فجأة، ويُطلب من الوسيط نفسه تصفيتها جسدياً، فتبدأ سلسلة مطاردات عنيفة ومواجهات قاسية تسعى آفا (تشاستن) من خلالها إلى خلاصٍ لها ولعائلتها.

■ Relic لناتالي اريكا جيمس (الصورة)، تمثيل ايميلي مورتيمر وروبن نِفِن وبيلاّ هيثكوت: بعد بلوغ نبأ اختفائها، تتوجّه ابنة إدْنا وحفيدتها إلى المنزل العائلي المنعزل عن العالم، بحثاً عنها. لكن إدْنا تعود فجأة، ومنذ عودتها غير المتوقّعة، تشعر المرأتان أنّ هناك ما هو أخطر من الخوف والقلق: هناك وجود أخبث من كلّ شيء لكائنٍ ما مجهولٍ تماماً وغير مرئيّ بالنسبة إليهما.

■ Archive لغافن روثري، تمثيل رونا مِتْرا (الصورة) وثيو جيمس وستايسي مارتن: هناك روبوت يُدعى جورج آلور، يكاد ينتهي من تحقيق اكتشافٍ أساسيّ، يتمثّل بتطوير روبوت بشريّ، أنهى نموذجه الأوليّ، J3. كل نموذج يبتكره ويُطوّره يُعتبر نسخة طبق الأصل عن زوجته المتوفاة بسبب حادث سير مروّع. مدفوعاً بحبّه العميق لها، يرفض جورج طواعية كشف حقيقة أبحاثه العلمية: إنشاء النسخة المثالية لزوجته.

■ Breeder لجنس دال، تمثيل ساره هيورت ديتلفسن (الصورة) وأندرس هاينريتْشِسن وسينييه إغولم أولسن: لا تعرف رئيسة شركة كبيرة ومشهورة للماكولات الغذائية لا رحمة ولا تسامحاً، وترفع في عملها شعار «الشيخوخة مرض». لذا، تجهد في العثور على شاباتٍ، تخطفهنّ بواسطة فريق مسلّح، بهدف بلورة مشروعها المعجزة، الذي يسمح بعَكس مسار الشيخوخة تماماً.